فلعله غير محتمل للمبيت على الفراش لان هذا امر خارج عن الشجاعة اذ كان قد اقامه مقام المكتوف الممنوع بل هو اشد
مشقة من المكتوف الممنوع لان المكتوف الممنوع يعلم من نفسه انه لا سبيل له الى الهرب وهذا يجد السبيل الى الهرب والى
الدفع عن نفسه ولا يهرب ولا يدافع ومنها انه وان كان ثقة عنده ضابطا للسر شجاعا نجيبا فليس المبيت على الفراش فانه غير
مأمون ان يذهب صبره عند العقوبة الواقعة والعذاب النازل بساحته حتى يبوح بما عنده ويصير الى الاقرار بما يعلمه وهو انه
اخذ طريق كذا فيطلب فيؤخذ فلهذا قال علماء المسلمين ان فضيلة علي عليه السلام تلك الليلة لا نعلم احدا من البشر نال مثلها
الا ما كان من اسحق وابرهيم عليهما السلام عند استسلامه للذبح ولولا ان الانبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا ان
محنة علي اعظم لانه قد روي ان اسحق تلكأ لما امره ان يضطجع وبكى على نفسه وقد كان ابوه يعلم ان عنده في ذلك وقفة
ولذلك قال له فانظر ماذا ترى وحال علي عليه السلام بخلاف ذلك لانه ما تلكأ ولا تتعتع ولا تغير لونه ولا اضطربت اعضاؤه
ولقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه واله يشيرون عليه بالرأي المخالف لما كان امر به وتقدم فيه فيتركه ويعمل بما اشاروا
به كما جرى يوم الخندق في مصانعته الاحزاب بثلث ثمار المدينة فانهم اشاروا عليه بترك ذلك فتركه وهذه كانت قاعدته
معهم وعادته بينهم وقد كان لعلي عليه السلام ان يعتل بعلة وان يقف ويقول يا رسول الله اكون معك احميك من العدو
واذب بسيفي عنك فلست مستغنيا في خروجك عن مثلي ونجعل عبدا من عبيدنا في فراشك قائما مقامك يتوهم
القوم برؤيته نائما في بردك انك لم تخرج ولم تفارق مركزك فلم يقل ذلك ولا تحبس ولا توقف ولا تلعثم وذلك لعلم كل
واحد منهما عليهما السلام ان احدا لا يصبر على ثقل هذه المحنة ولا يتورد هذه الهلكة الا من خصه الله تعالى بالصبر على
مشقتها والفوز بفضيلتها وله من جنس ذلك افعال كثيرة كيوم دعا عمرو بن عبدود المسلمين الى المبارزة فاحجم الناس كلهم
عنه لما علموا من بأسه وشدته ثم كرر النداء فقام علي عليه السلام فقال انا ابرز اليه فقال له رسول الله انه عمرو فقال نعم
وانا علي فامره بالخروج اليه فلما خرج قال صلى الله عليه واله برز الايمان كله الى الشرك كله وكيوم احد حيث حمى رسول
الله صلى الله عليه واله من ابطال قريش وهم يقصدون قتله فقتلهم دونه حتى قال جبريل يا محمد ان هذه للمواساة فقال انه مني وانا
منه فقال جبريل وانا منكما ولو عددنا ايامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لاطلنا واسهبنا قال الجاحظ
فان احتج محتج لعلي عليه السلام بالمبيت على الفراش فبين الغار والفراش فرق واضح لان الغار وصحبة ابي بكر للنبي صلى الله عليه واله قد نطق
به القرآن فصار كالصلوة والزكوة وغيرهما مما نطق به الكتاب وامر علي عليه السلام ونومه على الفراش وان كان ثابتا صحيحا
الا انه لم يذكر في القرآن وانما جاء مجيء الروايات والسير وهذا لا يوازن هذا ولا يكايله قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله هذا
فرق غير مؤثر لانه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب ولا يجحده الا مجنون او غير
مخالط لاهل الملة ارأيت كون الصلوات خمسا وكون زكوة الذهب ربع العشر وكون خروج الريح ناقضا للطهارة
وامثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه هل هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الاحكام هذا مما لا يقوله رشيد ولا
عاقل على ان الله تعالى لم يذكر اسم ابي بكر في الكتاب وانما قال اذ يقول لصاحبه وانما علمنا انه ابو بكر بالخبر وما ورد في السيرة
وقد قال اهل التفسير ان قوله تعالى ويمكر الله والله خير الماكرين كناية عن علي عليه السلام لانه مكر بهم واول الاية واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين انزلت في ليلة الهجرة ومكرهم كان توزيع السيوف
على بطون قريش ومكر الله تعالى هو منام علي عليه السلام على الفراش فلا فرق بين الموضعين في انهما مذكوران كناية لا تصريحا وقد
روى المفسرون كلهم ان قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله انزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت على
الفراش فهذه مثل قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا فرق بينهما قال الجاحظ وفرق اخر وهو انه لو كان مبيت علي عليه السلام على الفراش
جاء مجيء كون ابي بكر في الغار لم يكن له في ذلك كبير طاعة لان الناقلين نقلوا انه صلى الله عليه واله قال له نم فلن يخلص
اليك شيء تكرهه ولم ينقل ناقل انه قال لابي بكر في صحبته اياه وكونه معه في الغار مثل ذلك ولا قال له انفق واعتق فانك
لن تفتقر ولن يصل اليك مكروه قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله هذا هو الكذب الصراح والتحريف والادخال في الرواية ما
ليس منها والمعروف المنقول انه صلى الله عليه واله قال له اذهب فاضطجع في مضجعي وتغش ببردي الحضرمي فان القوم سيفقدونني ولا يشهدون مضجعي فلعلهم

اذا القوا

اذا القوا الى مضجعي فلعلهم اذا رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا فاذا اصبحت فاغد في اداء امانتي ولم ينقل ما ذكره الجاحظ وانما
ولده ابو بكر الاصم واخذه الجاحظ ولا اصل له ولو كان هذا صحيحا لم يصل اليه مكروه منهم وقد وقع الاتفاق على انه ضرب
ورمي بالحجارة قبل ان يعلموا من هو حتى تضور وانهم قالوا له رأينا تضورك فانا كنا نرمي محمدا ولا يتضور ولان لفظة
المكروه ان كان قالها انما يراد بها القتل فهب انه امن القتل كيف يأمن من الضرب والهوان ومن ان يقطع بعض
اعضائه وان سلمت نفسه اليس الله تعالى قال لنبيه بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشج وجهه وادميت ساقه وذلك لانها عصمة من القتل خاصة
وكذلك المكروه الذي اومن علي عليه السلام منه ان كان صح ذلك في الحديث انما هو مكروه القتل ثم يقال له وابو بكر
لا فضيلة له ايضا في كونه في الغار لان النبي صلى الله عليه واله قال له لا تحزن ان الله معنا ومن يكن الله معه فهو امن
لا محالة من كل سوء فكيف قلت ولم ينقل ناقل انه قال لابي بكر في الغار مثل ذلك فكل ما يجيب به عن هذا فهو جوابنا عما
اورده ويقال له هذا ينقلب عليك في النبي صلى الله عليه واله لان الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبة امره فيجب على
قولك ان لا يكون مثابا عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه ولا ما يصيبه من الاذى اذ كان قد ايقن بالسلامة والفتح
في غده قال الجاحظ ومن جحد كون ابي بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه واله فقد كفر لانه جحد نص الكتاب ثم انظر الى قوله تعالى ان الله
معنا من الفضيلة لابي بكر لانه شريك رسول الله صلى الله عليه واله في كون الله تعالى معه وانزال السكينة قال كثير من الناس
انه في الاية مخصوص بابي بكر لانه كان محتاجا الى السكينة لما تداخله من رقة الطبع البشري والنبي صلى الله عليه واله كان
غير محتاج اليها لانه يعلم انه محروس من الله تعالى فلا معنى لنزول السكينة عليه وهذه فضيلة ثالثة لابي بكر قال شيخنا
ابو جعفر ان ابا عثمن يجر على نفسه ما لا طاقة له به من مطاعن الشيعة ولقد كان في غنية عن التعلق بما تعلق به لان
الشيعة تزعم ان هذه الاية بان تكون عيبا وطعنا على ابي بكر اولى من ان تكون فضيلة ومنقبة له لانه لما قال له لا
تحزن دل على انه قد كان حزن وقنط واشفق على نفسه وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين ولا يجوز ان يكون حزنه
طاعة لان الله تعالى لا ينهى عن الطاعة فلو لم يكن ذنبا لم ينه عنه وقوله ان الله معنا اي ان الله عالم بحالنا وما نضمره
من اليقين او الشك كما يقول الرجل لصاحبه لا تضمرن سوءا ولا تنوين قبيحا فان الله تعالى يعلم ما تسره وما تعلنه
وهذا مثل قوله تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا اي عالم بهم واما السكينة فكيف يقول انها اليست راجعة
الى النبي صلى الله عليه واله وبعدها قوله وايده بجنود لم تروها اترى المؤيد بالجنود كان ابا بكر ام رسول الله صلى الله عليه واله وقوله
انه مستغن عنها ليس بصحيح ولا يستغني احد عن الطاف الله وتوفيقه وتأييده وتثبيت قلبه وقد قال الله تعالى في
قصة حنين وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله واما الصحبة فلا تدل
الا على المرافقة والاصطحاب لا غير وقد يكون حيث لا ايمان كما قال تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك
ونحن وان كنا نعتقد اخلاص ابي بكر وايمانه الصحيح السليم وفضيلته التامة الا انا لا نحتج له بمثل ما احتج به الجاحظ من
الحجج الواهية ولا نتعلق بما يجر علينا دواهي الشيعة ومطاعنها قال الجاحظ وان كان المبيت على الفراش فضيلة فاين
هي من فضائل ابي بكر ايام مكة من عتق المعذبين وانفاق المال وكثرة المستجيبين مع فرق ما بين الطاعتين لان طاعة
الشاب الغرير والحدث الصغير الذي في عز صاحبه عزه ليست كطاعة الحليم الكبير الذي لا يرجع تسويد صاحبه الى رهطه
وعشيرته قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله اما كثرة المستجيبين فالفضل فيها راجع الى المجيب لا الى المجاب على انا قد علمنا
ان من استجاب لموسى عليه السلام اكثر ممن استجاب لنوح عليه السلام وثواب نوح اكثر لصبره على الاعداء ومقاساة خلافهم وعنتهم واما انفاق
المال فاين محنة الغني من محنة الفقير واين يعتدل سلام من اسلم وهو غني ان جاع اكل وان اعيا ركب وان عري لبس قد
وثق بيساره واستغنى بماله واستعان على نوائب الدنيا بثروته ممن لا يجد قوت يومه وان وجد لم يستاثر به فكان
الفقر شعاره وفي ذلك قيل الفقر شعار المؤمن وقال الله تعالى لموسى يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين
وفي الخبر ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وكان النبي صلى الله عليه واله يقول اللهم احشرني في زمرة الفقراء ولذلك ارسل

Copyright ... University